في ذلك الزمان مشاهدة له لانّ من هو من اهل العصر يحتاج ان يعرف
العرب عجزوا عنه وانّما يعلم عجزهم عنه بنقل الثقاة اليه انّ النبيّ صلّى الله عليه
وسلّم قد تحدّى العرب اليه فعجزوا عنه ويحتاج في النقل الى شروطٍ وليس يصير
القرآن بهذا النقل معجزًا كذلك لا يصير معجزًا بان يعلم الغيب الذي ليس ببليغ انهم
قد عجزوا عنه باجمعهم بل هو معجز في نفسه وانّما طريق معرفة هذا وقوعهم
على العلم بعجزهم عنه ۞ **فصل في قدر المعجز من القرآن**
الذي ذهب اليه عامّة اصحابنا وهو قول ابي الحسن الاشعري رضي الله عنه في
كتبه انّ اقلّ ما يعجز عنه من القرآن السّورة قصيرة كانت او طويلة او ما كان
بقدرها قال فاذا كانت الآية بقدر حروف سورة وان كانت سورة الكوثر فذلك
معجز قال ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في اقلّ من هذا القدر ۞
وذهبت المعتزلة الى انّ كلّ سورةٍ برأسها فهي معجزة
وقد حكي عنهم نحو قولنا الاّ انّ منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة
كلها ولم يخصّ ولم يأتوا الى شيء منها بمثل فعلم انّ تجميع ذلك معجز ۞ واما قوله عزّ
وجلّ فليأتوا بحديثٍ مثله فليس بمخالفٍ لهذا لانّ الحديث التامّ لا تحصل
حكايته في اقلّ من كلمات سورةٍ قصيرةٍ وهذا يؤكّد ما ذهب اليه اصحابنا و
يؤيّده وان كان قد يتأوّل قوله فليأتوا بحديثٍ مثله على ان يكون راجعًا الى
القبيل دون التفصيل وكذلك يحمل قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجنّ على
ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله على القبيل لانّه لم يجعل الحجّة عليهم عجزهم
عن الايتان بمثله بجميعه من اوّله الى اخره **فان قيل** هل تعرفون اعجاز السّور
القصار بما تعرفون به اعجاز السّور الطوال وهل تعرفون اعجاز كلّ قدرٍ من القرآن
بلغ الحدّ الذي قدّرتموه بمثل ما تعرفون به اعجاز سورة البقرة **فالجواب**
انّ ابا الحسن الاشعري رحمة الله اجاب عن ذلك بانّ كلّ سورةٍ قد علم كونها معجزةً
بحجّة العرب عنها ۞ وسمعت بعض الكبراء من اهل هذا الشان يقول انّ ذلك
يصحّ ان يكون على ذلك توفيقًا والطريقة الاولى اسدّ وليس هذا الذي ذكرناه
اخيرًا بمانعٍ فيه لانّه لا يمتنع انّ يعلم اعجازه بطرقٍ مختلفةٍ يتأتّى في عليه ويجتمع
فيه ۞ واعلم انّ تحت اختلاف هذه الاجوبة ضربًا من الفايدة لانّ الطريقة
الاولى تبيّن انّ ما علم به كون جميع القرآن معجزًا موجود في كلّ سورةٍ صغرت او
كبرت فيجب ان يكون الحكم في الكلّ واحدًا والطريقة الاخيرة تتضمّن تعذّر
معرفة اعجاز القرآن بالطريقة التي سلكناها في كتابنا من التفصيل الذي بيّنا

فيما يعرف به في الكلام الفصاحة وتتبيّن فيه البلاغة حتى يعلم ذلك بوجهٍ اخر
فيستوي في هذا القدر البليغ وغيره فانّا لا نعلم عجزًا حتى يستدلّ به من وجهٍ
اخر سوى ما يعلم البلغاء من التقدّم في الصنعة وهذا غير ممتنع الا ترى انّا لا نعجز
في بعض السّور والآيات اظهر وفي بعضها اغمض وادقّ ولا يفتقر البليغ في
النظر في حال بعضها الى نظرٍ دقيقٍ وبحثٍ لطيفٍ حتى يقع على الجليّة ويصل الى
المطلب ولا يمتنع ان يذهب عليه الوجه في بعض السّور فيحتاج ان يقرع فيه
الى اجماعٍ او توقيفٍ او ما علمه من العرب قاطبة عنه **فان ادّعى ملحدٌ**
او زعم زنديقٌ انّه لا يقع العجز عن الاتيان بمثل السور القصار
والآيات بهذا المقدار قلنا له انّ الاعجاز قد حصل بما بيّناه وعرف بما وقفنا
عليه من عجز العرب عنه ثمّ فيه شيء اخر وهو انّ هذا سؤال لا يستقيم للملحد
لانّه يزعم انّه ليس في القرآن كلّه اعجاز فكيف يجوز ان يناظره على تفصيله فاذا
ثبت لنا معه اعجازه في السّور الطوال قامت الحجّة عليه وثبتت المعجزة ولا يعنينا
لطلبه لكثرة الادلّة والمعجزات ونحن نعلم انّ اعجاز البعض بما بيّناه والبعض الاخر
بانّه اذا ثبت الاصل لم يبق بعد ذلك الاّ قولنا لا تعرفنا في البعض الاعجاز بما
بيّنّا ثمّ عرفنا في الباقي بالتوقيف ونحو ذلك وليس يمتنع اختلاف حال الكلام
حتى يكون الاعجاز على بعضه اظهر وفي بعضه اغمض ومن امن ببعضٍ دون بعضٍ
كان مذمومًا على ما قال الله تعالى افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعضٍ
وقال ونترّل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمة للمؤمنين فظاهره عند بعض اهل التا ويل
كالدليل على انّ الشفاء ببعضه اوقع وان كنّا نقول انّه يدلّ على انّ الشفاء في
جميعه ۞ واعلم انّ الكلام يقع فيه الابلغ والبليغ ولذلك كانوا يسمّون الكلمة
بيتيمةً ويسمّون البيت الواحد يتيمًا ۞ سمعت اسمعيل بن عبادٍ يقول سمعت
ابا بكر ابن مقسمٍ يقول سمعت ثعلبًا يقول سمعت الفرّاء يقول العرب تسمّي البيت
الواحد يتيمًا وكذلك يقال الدرّة اليتيمة لانفرادها فاذا بلغ البيتين و
الثلثة فهي تنفه والى العشرة تسمّى قطعة فاذا بلغ العشرين استحقّ ان يسمّى
قصيدًا وذلك ما نحو من الخ القصيد وهو المتراكم بعضه على بعضٍ وهو ضدّ
الزاز ومثله الرشيد انهت احكايةً ثمّ استشهد **بقول لبيدٍ**
فتذكّرا ثقلًا رثيدًا بعدما القت ذكاء يمينها في كافرٍ
يريد بيّض النعام لا ينضدّ بعضه على بعضٍ وكذلك يقع في الكلام البيت الوحشيّ
النادر والمثل السّاير والمعنى الغريب والشيء الذي لو اجتهد له لم يقع عليه

Copyright © University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)